

التحرير والتنوير

ثم جرهم الغلو في تقديس المسيح فتوهموا أن علم إياهم اتحد بالمسيح فقالوا : إن المسيح صار ناسوته لاهوتا باتحاد أقنوم العلم به فالمسيح جوهران وأقنوم واحد ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول أي حلول إياهم في المسيح بعبارات متنوعة ثم اعتقدوا اتحاد إياهم بالمسيح فقالوا : إياهم هو المسيح . هذا أصل التثليث عند النصارى وعنه تفرعت مذاهب ثلاثة أشار إلى جميعها قوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة وقوله لقد كفر الذين قالوا إن إياهم هو المسيح ابن مريم وقوله أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون إياهم) وكانوا يقولون : في عيسى لاهوتية من جهة الأب وناسوتية أي إنسانية من جهة الأم .

وظهر بالإسكندرية راهب اسمه " آريوس " قال بالتوحيد وأن عيسى عبد إياهم مخلوق وكان في زمن " قسطنطينوس سلطان الروم باني القسطنطينية " . فلما تدين قسطنطينوس المذكور بالتصراية سنة 327 تبع مقالة " آريوس " ثم رأى مخالفة معظم الرهبان له فأراد أن يوحد كلمتهم فجمع مجمعا من علماء النصارى في أواخر القرن الرابع من التاريخ المسيحي وكان في هذا المجمع نحو ألفي عالم من النصارى فوجدهم مختلفين اختلافا كثيرا ووجد أكثر طائفة منهم على قول واحد ثلاثمائة وبضعة عشر عالما فأخذ قولهم وجعله أصل المسيحية ونصره وهذه الطائفة تلقب " الملكانية " نسبة للملك .

واتفق قولهم على أن كلمة إياهم اتحدت بجسد عيسى وتقمصت في ناسوته أي إنسانيته ومارجته امتزاج الخمر بالماء فصارت الكلمة ذاتا في بطن مريم وصارت تلك الذات ابنا إياهم تعالى فالإله مجموع ثلاثة أشياء : الأول الأب ذو الوجود والثاني الابن ذو الكلمة أي العلم والثالث روح القدس .

ثم حدثت فيهم فرقة اليعقوبية وفرقة النسطورية في مجامع أخرى انعقدت بين الرهبان . فاليعقوبية ويسمون الآن " أرثودكس " ظهوروا في أواسط القرن السادس المسيحي وهم أسبق من النسطورية ؛ قالوا : انقلبت الإلهية لحما ودما ؛ فصار الإله هو المسيح فلأجل ذلك صدرت عن المسيح خوارق العادات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فأشبه صنعه صنع إياهم تعالى مما يعجز عنه غير إياهم تعالى . وكان نصارى الحبشة يعاقبة وسنتعرض لذكرها عند قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن إياهم هو المسيح ابن مريم) في سورة المائدة وعند قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) .

والنسطورية قالت : اتحدت الكلمة بجسد المسيح بطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوة من بلور فالمسيح إنسان وهو كلمة إياهم فلذلك هو إنسان إله أو هو له ذاتيتان ذات إنسانية

وأخرى إلهية وقد أطلق على الرئيس الديني لهذه النحلة لقب " جاثليق " . وكانت النحلة
النسطورية غالبية على نصارى العرب . وكان رهبان اليعاقبة ورهبان النسطوريين يتسابقون
لبث كل فريق نحلته بين قبائل العرب . وكان الأكاسرة حماة للنسطورية وقيصرة الروم حماة
لليعقوبية . وقد شاعت النصرانية بنحلتها في بكر وتغلب وربيعة ولخم وجدام وتنوخ وكلب
ونجران واليمن والبحرين . وقد بسطت هذا ليعلم حسن الإيجاز في قوله تعالى (ولا تقولوا
ثلاثة) وإتيانه على هذه المذاهب كلها . فـ هذا الإعجاز العلمي .
والقول في نصب (خيرا) من قوله (انتهوا خيرا لكم) كالقول في قوله تعالى (فأمنوا
خيرا لكم) .

والقصر في قوله (إنما ا إله واحد) قصر موصوف على صفة لأن (إنما) المقصور وهو هنا
قصر إضافي أي ليس ا بثلاثة .

وقوله (سبحانه أن يكون له ولد) إظهار لغلطهم في أفهامهم وفي إطلاقاتهم لفظ الأب والابن
كيفما كان محملهما لأنهما إما ضلالة وإما إيهامها فكلمة (سبحانه) تفيد قوة التنزيه
تعالى عن أن يكون له ولد والدلالة على غلط مثبتيه فإن الإلهية تنافي الكون أبا واتخاذ
ابن لاستحالة الفناء والاحتياج والانفصال والمماثلة للمخلوقات عن ا تعالى . والبنوة
تستلزم ثبوت هذه المستحيلات لأن النسل قانون كوني للموجودات لحكمة استبقاء النوع والناس
يتطلبونها لذلك وللإعانة على لوازم الحياة وفيها انفصال المولود عن أبيه وفيها أن الابن
مماثل لأبيه فأبوه مماثل له لا محالة .